ظلٌّ.. لا تَسعهُ الشمس

ظلٌّ.. لا تَسعه الشمس

قصص من الواقع

معصومـــة المطاوعـــة

الطبعة الأولى

مملكة البحرين – 2010

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة

رقم الإيداع في إدارة المكتبات العامة: د.ع 7872 / 2009م

رقم الناشر الدولي: ISBN 978 - 99901 – 94 - 68 - 5

لوحة الغلاف للفنان: Alfred Gockel

تصميم الغلاف: خالد الرويعي

الطباعة والتوزيع: مؤسسة الأيام للنشر

معصومة علي المطاوعة

ظلٌّ.. لا تَسعهُ الشمس

قصص من الواقع

إهـداء

من هنا..

إلى..

كل من..

جعلني أذرف..

دموعاً من نورٍ علمتني..

أن الحياة بلا أمل كدارٍ بلا أم..

مهما حاولتُ فيها القضاء على الفوضى..

أجد ضوضاء روحي تناجي الدفء في عتمة الليالي الباردة..

تجعلني أرغب في البقاء أكثر ضمن الكائنات..

أحلمُ بالصباح والرقص على الغناء..

تشرب كأسي ابتسامات الحياة..

من مكان أو لا مكان..

تُغدق روحي شوقاً..

لأعرف من..

أنا..

كل يوم..

مقدمة

أليست الحياة غريبة؟!

فعلى الرغم من أننا جميعا نصحو صباحا..

نتناول طعام الإفطار..

نودّع أعزّتنا ليقوم كلّ واحدٍ منا بدوره اليومي في هذه الحياة وهو أن يعيش..

إلا أننا نختلف نسبيا في كيفية حياة كل واحدٍ منا لهذه الحياة..

فهناك من اختار أن يرقص..

وهناك من اختار أن يبكي..

مع أن الاثنين قد يكونان تناولا ذات الإفطار في الصباح..

إلا أن تلك الطاقة اختار أحدنا أن يُضحك بها أحدا..

واختار الآخر أن يكدّر بها أحداً..

فهل هو الغذاء؟

من يحرّك فينا ما نرغب أن نكون؟..

هل نحن فعلا مخيّرون أو مسيّرون؟!

ما الفرق بين الطيور وبين الزهور؟!

في الرقص لا فرق بين الاثنتين..

ولا في البكاء..

فكلاهما يرقص..

وكلاهما يبكي..

وكذلك نحن في المساء..

كلانا يتناول ربما ذات العشاء..

وكلانا يخلد للنوم..

فقط قد يختلف ما نذرف عليه الدموع قبل أن ننام..

أوليس غريباً إذن أن نظل أغراباً؟!

مع أن الحياة لا تحتاج لكل هذا..

فكل ما هو مطلوب منا هو أن نعيش..

نرقص ونبكي..

ولكن معاً..

حتى لو اختلفت أسباب الدموع..

معا فقط سنستطيع الحياة..

الحياة الحقيقية..

المؤلفة

سكرات الجنون

قرّر الأخ مراقبة أخيه ليفهم السرّ وراء كل تصرفاته وبالأخص ليعرف مصدر الهدايا والنقود..

كان وسيماً، شاباً في مقتبل العمر، منحه الله سبحانه قامة منتصبة وجسماً رجولياً ووجهاص جميلاص، ولكنه سبحانه ولحكمة ما لم يمنحه عقلاً!

وُلِد هكذا منذ الصغر، في منزله غيره والدين وأخ، أخاه سليم العقل والبنية، ولا يوجد أحد من أفراد عائلته مصاب بالجنون أو أي نوع من الخلل العقلي إلا هو، فلله في خلقه شؤون..

صحيح أن الشاب كان مصاباً بالجنون، إلا إن مظهره الخارجي لم يكن يوحي بذلك، إضافة إلى انه كان يحافظ على نظافة شكله وملبسه، وذلك في الغالب كان بسبب عناية أهله الفائقة به، واهتمامهم بهيئته ونظافته قبل خروجه من المنزل وبعد دخوله..

كان الشاب يخرج يوميا للتجول في الشارع ورؤية الناس، حاول أهله كثيراً منعه من الخروج والتسكّع في الشوارع، وذلك خشية أن يؤذيه الأطفال المشاغبون، أو أن يسخر منه أحدهم فيجرحه، أو أن يقع في شجار مع أحد المارة فيضربه، لكن بلا فائدة، فلا أحد يستطيع منع مجنون من الخروج إلاّ بتكبيله، وذلك ما لم يُرده له أهله..

كان الشاب معتاداً على الخروج نهاراً والعودة بعد الظهر، حيث يدخل المنزل محاولاً إفهام والدته كل ما جرى معه في يومه من مواقف، فكانت الأم تفهم منه بعض الحديث، مثل أنه رأى فتاة جميلة في سيارة فخمة ضحكت وسلّمت عليه، او أنه ضرب طفلاً رماه بالحجارة، أو أنه شاهد حادث سيارة فيصفه بالتفصيل مع أصوات مكابح السيارة المصطدمة.. ألخ..

حتى جاءت أيام.. كان الشاب فيها يأتي إلى المنزل ويجلس وحده في غرفته، ولا يخرج منها حتى للطعام او لمشاهدة التلفاز، مع أن الطعام والتلفاز هما لذته الحياتية، وعندما حاولت الأم بطريقتها الخاصة فهم ما يدور في خلده، لم تستطع فهم شيء، لأنه لم يكن يعبّر لها بطريقة مفهومة او واضحة، فكل ما كان يفعله هو هزّ رأسه أو قول شيء بمعنى لا شيء!..

واستمر الأمر معه عدة أيام.. فأخبرت الأم ابنها الثاني بما يجري مع أخيه، فلقد كانت قلقة جداً عليه، واعتبرت وضعه حالة

مرَضية قد تحتاج إلى علاج، فهي كثيراً ما تخشى عليه من المضاعفات التي ترافق نموه، فالنمو النفسي والجسدي لدى ابنها غالبا ما كان يترافق مع المشكلات!

اتجه الأخ إلى غرفة أخيه محاولاً استدراجه لفهم سبب عزلته وطباعه الغريبة مؤخراً، لكنه كالسابق لم يحاول التعبير عن شيء مفيد، فكل ما وضّحه هو أنه لا يعاني من أي ألم وأنه لم يتعرض لأي أذى خارج المنزل، ولكن مع ذلك لا يزال هناك سبب يجعله غريب الأطوار، ولا أحد يدري ما هو..

ومع بعض الأيام الأخرى، بدأت أمور أخرى غريبة تحصل مع الشاب..

فلقد غير أوقات خروجه، فالآن يبدو خروجه مقتصراً على أيام وأوقات محددة، إذ أصبح يلبس ساعة ينتبه إلى مواقع عقاربها، كما أنه كان يحاول المحافظة على شكله بطريقة غريبة، فكان يسرق عطورات أخيه ووالدته ويرشها على ملابسه بالكامل، إضافة إلى وجهه ويديه حتى يكاد يفرغ قنينة كاملة في كل طلعة..!

ولم يتوقف الأمر على زجاجات العطر فقط، بل كان أحيانا يسرق بعض ملابس أخيه، وأدوات تجميل أمه، ليظهر في أحلى حلّة وبأفضل شكل، واكتشفت الأم ذلك عندما وجدت آثار أحمر الشفاه والخدود واضحاً على وجهه، فتوجهت إلى غرفته لتجد قائمة المسروقات!

حاولت الأم إفهامه بأن ما فعله خطأ، فأولاً هو شاب لا يجوز له أن يستخدم أدوات الزينة، وثانياً لا يجوز له استخدام أدوات أخيه وغرفته دون استئذان!

صحيح أن إفهامه ذلك لم يكن أمراً سهلاً، لكن حالته بفضل الله لم تكن سيئة جداً، فهو غالباً ما لا يكرّر الأمور التي تغضب أمه، غير أن مثل هذه الأمور لم تحصل معه من قبل..

وأثناء تفتيش غرفته.. لفت انتباه امه أمر ما.. فهي مع أدوات تجميلها وملابس ابنها الآخر وجدت لديه ملابس جديدة لا تدري من أين له بها؟!.. إضافة إلى بعض الهدايا الثمينة والنقود التي كان يخبئها في خزانته..

سألته أمه عن تلك الأشياء ومصدرها.. ولكنه غضب ورفض الإجابة، وأخذها وأعادها إلى خزانته، وطلب من أمه مغادرة غرفته!!

ومع كل تلك التطورات.. كان هناك أمر غريب آخر طرأ على سلوكه، فهو متى ما فتح التلفاز بدأ يبدّل قنواته ويبدّلها باستمرار وكأنه يبحث عن شيء، ومع مراقبة سلوكه ذاك اتضح أنه كان يبحث عن قنوات تبث مواقف او أفلام جنسية أو مسلسلات يظهر أبطالها فيها بأبهى حلة وأفضل لباس..

بدأت تلك الأمور تضايق الأم كثيراً، فاستشارت ابنها الآخر عن كل ذلك، وأخبرته بكل ما تراه وتحسّه وتعرفه، وكل ما حسبته

الأم لم يتعدّ كونه مراهقة واهتماماً بالمظهر والجنس الآخر، إلا أن أخاه كان يراها أموراً أبعد من ذلك بكثير..

قرّر الأخ مراقبة أخيه ليفهم السرّ وراء كل تصرفاته وبالأخص ليعرف مصدر الهدايا والنقود..

خرج الأخ يوما خلف أخيه، وأصبح يلحقه دون علمه، حتى وصل أخوه عند ملتقى شارعين فرعيين، وجلس على الرصيف، فتوقف هو بعيداً عنه يراقبه، ولم تمر نصف ساعة حتى وصلت سيارة آخر موديل تركبها شابتان في مقتبل العمر..

توقفت السيارة عنده، كانت نوافذ السيارة مغطاة بالستائر، فتح أخوه باب السيارة الخلفي ودخل، وانطلقت السيارة..

بدأ الأخ بملاحقة السيارة من بعيد، حتى وصلت إلى مزرعة نخيل تتوسطها بركة سباحة مغطاة ومسوّرة بالسياج، حيث خرج الثلاثة من السيارة وتوجهوا إلى الداخل، ولم يخرجوا إلا بعد مرور ثلاث ساعات!

أخذ الأخ رقم سيارة الشابتين وبدأ التحقيق في الموضوع، ولم يتخذ أي إجراء إلا بعدما تبع أخاه أكثر من مرة، ولاحظ الشيء نفسه في كل مرة، وتأكد من وجود سر وراء كل ذلك..

في النهاية أعلن الأخ الأمر، وطلب تحقيقاً رسمياً لمعرفة الحقيقة.. وحصل الاستجواب، وبعده ظهرت الحقيقة..

كانت الشابتان من أسرة عريقة لها مكانة ونفوذ في المجتمع، أسرة عظيمة الثراء، ثراء غمر خلفه ايمانهما وعفتهما، فوجدتا نفسيهما أمام فراغ العمر، وساعدهما على ملء الفراغ الأفلام الإباحية في القنوات الفضائية، والمواقع الفاسدة على شبكة الانترنت، والتي من شأنها أن زادت فضولهما من أجل المغامرة والإحساس بما يريان ويسمعان..

لكن سمعة عائلتهما ونفوذها وقفت أمامهما، فهما لا تستطيعان إقامة العلاقات العابرة خشية الانفضاح، فآثرتا استخدام سلاح المال الذي تمتلكانه، وأصبحتا تغريان الشاب بالهدايا والملابس والنقود، خاصة وأنه جميل ووسيم وأنيق، فكان عرضاً مغرياً لهما، فأصبحتا تأخذانه لمكان استأجرتاه بمالهما ومعارفهما، وكانتا والعياذ بالله– تغتصبان– الشاب وهو في جنونه الذي لا يرفض ولا يقبل..

وطبعا بما انه مجنون، فلن يفضحهما، وحتى لو حاول، فلن يصدقه أحد.. هذا ما اعتقدتاه..

وكما خططتا للأمر نجحتا، إذ لم تقبل الجهات المختصة بالقضية ولم تتهمهما بشيء، وكذلك أهلهما لم يصدقا من ذلك شيئا.. لأن شهادة المجنون غير مقبولة..!

ولا يزال الشاب بعد كل ذلك يعاني من سكرات جنونية.. نتيجة شهوات اعتادها.. ولم تعد ملكه!!

ظلٌّ.. لا تَسعهُ الشمس

هناك الكثيرات مثلها.. والمختبئات خلف جدران بيوتهن.. يجمّلن انفسهن بالضحكات الكاذبة عندما يخالطن الناس..

تقّدم لخطبتها الكثيرون.. فقد كانت جميلة.. جميلة جدا.. وكانت تشغل وظيفة مرموقة براتب مغرٍّ.. وكرمها كان يجعلها تمدّ يدها لكل من حولها بطلبٍ أو من غير طلب.. تحب الناس.. وتؤثرهم على نفسها.. وتحب مساعدتهم حتى ولو على حساب وقتها أو جهدها.. إذ تشعر بلذّة في العطاء.. وراحة في مدّ يد العون للآخرين..

طيبة لأبعد الحدود بحيث أنها لا تستطيع مواجهة أيّ شخص ينتقص من قدرها أو يجرح شعورها أو يظلمها.. بل تكتفي بالبكاء ليلا في سريرها حزنا على موقفه منها أو لخسارة صداقته.. ومثقّفه..

مثقّفة لدرجة أن كل من يعرفها كان يحسد الرجل الذي سيحظى بها.. لكونها مُلمّة بكل ما في الحياة من معرفة كفيلة لتجعل أسرتها الأجمل.. وزوجها الأسعد.. كانت هادئة وناعمة ورقيقة الاحساس.. وما الذي يريده الزوج أو الوالدين أو الإخوة أو الإصدقاء أو الأبناء أكثر من وجود واحدة مثلها بينهم؟! هكذا كان يصفها الآخرون.. والكلّ في انتظار من هو الذي سيستحق تلك الجوهرة التي حفظها الله لشخصٍ واحد يستحقها..

عشرات الشباب خطبوها.. ولكنها لم توافق على الكثيرين.. فهي إنسانة مميزة لا ينقصها شيء.. فكانت تنتظر الأفضل.. خاصة وأن عائلتها كانت تراها ملاكا طاهرا وجميلا.. فوجودها كان يضفي الروح والحياة في المنزل.. لذا هم لم يكونوا مستعدين لتقديم هذا الملاك إلاّ لشخصٍ يقدّر قيمته..

وجاء شخص.. شخص لم تتوقعه.. شخص يملك كل المميزات التي حلمت بها.. لدرجة انها استغربت من ان تكون كل الأشياء التي حلمت بها موجودة في شخص واحد.. فهي لم ترد شخصا كاملا.. بل أرادت شخصا يتفهّم أحلامها ويقبل مشاركتها بها.. لا أكثر.. ولكن الله أعطاها شخصا كاملا بمعنى الكلمة..

شخص متديّن.. يصلّي ويزكّي ويصوم.. لا يشرب الخمر ولا يدخّن السجائر.. ليست له علاقات مشبوهة سابقا مع نساء.. كريم وطيب وحنون.. من عائلة ذات سمعة ونفوذ في البلد.. لا يمانع في

أن تواصل دراستها العليا.. لا يمانع أن تواصل عملها المرهق الذي يتطلّب أن تخالط الكثير من الرجال والعمل لوقت متأخر ويضطرها للسفر.. لا يمانع في تحقيق حلمها بزواج فخم وخاتم زواج من الألماس وفستان لؤلؤي ومنزل فاخر وشهر عسل خيالي.. كان مستعدا لكل شيء..

كم هي محظوظة.. كم هي سعيدة.. لقد تحقّق حلمها الذي لم تحلم بأن يتحقّق بل حلمت بأن تقترب منه يوما ما.. وعُقد القران.. فأصبحت زوجته بشرع الله وخطيبته بشرع العادات والتقاليد طالما لا تزال تقيم في منزل أبيها.. وبدأت الأمور تظهر على حقيقتها.. لتثبت بأنه ليس كاملا.. فما من رجلٍ كامل..

رفض إقامة حفل الزفاف في محاولة لجسّ نبضها لعلّها تتراجع عنه.. كسر قلبها.. وجرح حلمها.. جعلها ذليلة تترجّاه ليفي بوعده.. ولكنه في النهاية أقام الحفل.. ولكن بعد ماذا؟؟ بعد أن جعلها تدرك بأنه كاسر للوعود..

أصرّ على تبديل وجهة شهر العسل التي وعدها بها.. كسر بخاطرها.. كذب عليها.. جعلها تبكي ألما على خذلانه لها.. ولكنه في النهاية أخذها لشهر العسل الذي وعدها به.. ولكن بعد ماذا؟؟ بعد أن تأكّد من أنه آذاها بكسر خاطرها وجعلها متأكدة بأنه لن يفعل..

رفض إسكانها في منزلٍ فاخر.. وأبدله بشقّة صغيرة من ممتلكات عائلته.. حطّم كرامتها.. آلم أعماقها لكونه تراجع عن كل

أساسيات الحياة التي وعدها بها قبل أن يتزوجها.. مع أنها كانت مستعدة لدفع ثمن المنزل من راتبها.. ولكنه رفض الحياة في منزل وآثر الحياة في شقة ليس لأنه لم يكن يملك المال.. بل فقط كي لا يشعر بأنها تفرض أحلامها عليه.. مع أنه تزوّجها قابلا بشروطها وواعدا ومتعهدا بتحقيق كل احلامها حتى التي لم تطلبها.. ولكنه بعدما تأكد من أنها بكت بما في الكفاية لرفضه الحياة في منزل رغم قدرتهما على توفير رأس ماله.. وافق بل وأصر على الحياة في أفخم منزل ممكن.. فقط لأنها تنازلت عنه.. وأصبحت مستعدة للعيش من دونه.. فدوره دائما يبدأ بعد التأكد من تحطّم دورها..

تلاشت كل الوعود في الشهر الأول من عقد القران.. كلها كانت وعود وهمية كاذبة.. ولكن تلك لم تكن أسباب كافية كي لا يستمرّا معا.. فهو لا يزال الشخص الحنون الطيب الذي يرعاها ويحبها.. ولكنها لن تنسى بأنه كاسر الوعود الذي يجب أن لا تثق بأي وعد يقطعه لأنه مستعد لنسيانه في اي وقت.. حتى لو كانت كلفة ذلك النسيان تؤدي لجرحها.. ولكن هكذا هي.. راضية..

تزوّجا.. عاشا معا.. وبدأت قصة غريبة في حياتها.. فهو لا يجلس في المنزل لأكثر من ساعة.. يغيب من أول النهار حتى آخر الليل.. ولا يأتي إلا وقت النوم لينام.. لا يراها.. لا يلمسها.. لا يُشعرها بالحب ولا بالرغبة.. لا بالشوق ولا بالأنوثة..

كرهت نفسها.. فقدت ثقتها بجمالها.. بدأت ترى نفسها قبيحة.. لم تعد تهتم لمظهرها لأن عدم التفاته لها يجعلها تشعر بالألم.. حاولت وضع أسباب لعدم رغبته بها.. ولكنها لم تجدها.. لذا حاولت خلق الأسباب لتعيش راضية.. أهملت مظهرها حتى تجعل عدم رغبته فيها منطقية..

مرّت شهور على الزفاف دون أن يلمسها.. ليالٍ طويلة بكت فيها من الألم والحسرة على نفسها وشبابها وجمالها الذي لا يراه زوجها.. وتذكرت سنوات عمرها الطويلة التي كان الناس فيها يحسدون من سيتزوج أنوثتها.. تذكرت مقولات النساء الجانبية عندما يرونها.. فقد كانوا دائما يقولون أن زوجها سيجد صعوبة في الخروج من المنزل وعنده زوجة بجمالها وذوقها ورقّتها..

كل تلك الأقاويل ذهبت مع الزواج.. حتى وجدت يوما علب الثقاب في الحمام.. فعرفت بأنه مدخّن.. والتدخين حرام في دستور عائلتها.. ما كانت لتتزوّج مدخّنا لو عرفت بذلك سابقا.. فهي لا تستطيع الارتباط بشخص لن يكسب احترام عائلتها.. ولكنه كذب من قبل ليتزوجها..

حاولت الكلام معه.. سألته لم كذب عليها.. ولكنه بدأ بالكذب واللّف والدوران مما أفقدها صوابها.. فرفضت قبول واقع كونه مدخنا.. وطلبت منه إبعاد التدخين من حياتها تماما وبدون مناقشة لأنها سئمت كذبه وتحايله في الكلام.. عليه الالتزام بما وعده بها..

فهو وعدها بحياة صحية نظيفة، ليس فيها دخان وعليه الالتزام بذلك.. وكفاهُ كسرا للوعود.. ولكنه تمسّك بموقفه وقال بأن رفضها لتدخينه هو ما يجعله خارج المنزل كل تلك الساعات.. فلأنها ترفض تدخينه يقضي هو يومه خارج المنزل فقط ليدخّن.. وعندما يعود للمنزل لا يحاول الاقتراب منها أو لمسها حتى لا تشتمّ رائحة السجائر.. هكذا كان ردّه..

وكان سؤالها.. أتفضّل البقاء خارجا مع سيجارة على أن تكون داخل المنزل مع زوجتك؟؟ وكان جوابه للأسف.. خارجا مع السيجارة.. وظل الموضوع عالقا لأيام.. وغير مقنع ولا مبرّر.. حسنا.. ماذا عن حاجاته الجنسية؟؟ أتغطي له السيجارة حاجاته الجنسية؟؟ كيف يستطيع حرمان نفسه من المعاشرة فقط من أجل سيجارة؟!!

وجاءها الردّ.. في مكالمة واحدة من فاعل خير.. أخبرها بأن زوجها المتديّن المصون ابن العائلة المحترمة مدمن على الخمرة ولا يقيم الصلاة.. طبعا هو يدّعي أداءه للصلاة خارج المنزل.. بينما هو لا يفعل.. فهو مدمن على الخمرة منذ سنوات طويلة أنسته ما معنى الصلاة..

فكرت بالأمر، وحاولت الاقتناع به.. فلربما تكون هذه الخمرة هي من يُنسيه رغباته الجنسية.. تُنسيه واجباته الشرعية التي من الصعب على من لا يقيم الصلاة أن يتذكرها..

وقامت الحرب.. وكعادته يلومها هي على ذلك.. لأنها تمنعه من التدخين.. لأنها كانت تفرض عليه أن يقيم الصلاة التي اكتشفت بأنه يكذب بخصوص قيامها.. فهو لا يصلّي.. وهي تزعجه بإيقاظه لصلاة الفجر.. لذلك هو ينفر منها ومن ازعاجها الذي لم تعرف يوما بأنه يراه ازعاجا..

هو مهمل لصحّته.. يشرب ويأكل الكثير من السموم.. هي خائفة عليه.. تطبخ له الطعام الصحي.. تحاول حمايته من قتل نفسه.. ولكنه في داخله يكرهها بسبب ذلك.. فهو في قرارة نفسه وبدون علمها يريد أن يأكل ويشرب ويدخّن حتى يموت.. ولكنه لم يقل لها ذلك يوما.. بل دائما ما كان يطلب منها تنبيهه وجعله رجلا مسؤولا.. لذلك كانت تحاول.. كانت تحاول مساعدته في تحقيق ما كان يوهمها بأنه يريده.. وهو الحياة الأفضل.. لأنه لم يتلقَّ التربية الكافية أو الجيدة لتحقيق هذه الحياة.. فهو ولد من أمّ مهملة لا مبالية.. فهي لا تهتم لتعليم ابنائها أبسط الأشياء.. ولا تكترث بمتابعة أصغر شؤون زوجها وأبنائها.. بل كل ما تفكر فيه هو الخروج وتسلية نفسها.. مما جعل ابناءها يعيشون في حالة فوضى لا انسانية..

لذلك هو معتاد على بعثرة كل الأغراض في المنزل.. لا يعي خطورة الماء والكهرباء.. مما يضطرها لتنبيهه للإصلاحات الضرورية للسلامة في المنزل.. تضطر لتنبيهه للاهتمام بإخوته

الصغار وأداء واجباته تجاه والديه.. ولكنه يكرهها في داخله بسبب ذلك دون أن تعلم..

كانت تحاول جاهدة لتغيير ما جعلها تظن بأنه يريد تغييره.. وكانت تظنه شاكرا ومقدرا لجهودها الحثيثة تلك.. بينما الحقيقة كانت شهورا من الكره الذي كان يتفاقم في داخله كونها هي المرآة لحقيقة شخصه وأسرته ونفسه الكريهة التي لا يعرفها أحد غيرها.. بينما هي كانت راضية.. راضية بالقدر المتوسط من السعادة التي تتحسّسها معه.. فهو في النهاية رجلها الأول.. حبيبها وزوجها.. صحيح بأنه حطّم قلبها قبل كل حلم حققه لها.. ولكنه على الأقل حقّق لها العديد من أحلامها البسيطة.. أحلام الفتيات..

على الأقل هو لا يضربها ولا يشتمها كالكثير من الرجال.. كريم يوفّر لها أفضل الطعام واللباس.. الهدايا والمال.. يهتم بصحتها ومرضها.. يسمعها وينصحها.. صحيح أنه لا يعاملها معاملة الزوج لزوجته.. ولكنه كان انساناً معها.. ليس زوجا.. ولكنه على الأقل كان صديقا.. وكانت راضية بذلك.. فهكذا هي المرأة الشرقية.. فهي تظل محبة لزوجها ومحتفظة به خافية كل اخطائه وزلاّته.. مجمِّلة صورته في نفسها ونفوس المحيطين بها..

ولكن تلك الصورة تحطمت الى أشلاء صعبة الجمع في ذات ليلة.. عندما كلمها أحد اقربائها ليخبرها الخبر الذي أتى عليها كالصاعقة.. وكاد يودي بحياتها..

عرفت بأنه متزوج عليها.. متزوج من زوجة قريبها.. قريبها الذي اكتشف خيانة زوجته له.. واكتشف بأن زوجته تخونه مع زوج قريبته.. يا للمصادفة.. ويا للعالم الصغير.. وتذكرت كل تلك الكلمات والجمل التي كانت تقولها قبل ان تتزوج.. كانت تقول انها لو عرفت أن زوجها يرى اي سيدة حوله بإعجاب.. لطلبت منه الطلاق فورا.. فهي يستحيل أن تعيش مع شخص معجب بامرأة غيرها!.. فما تراها ستفعل الآن وقد علمت بأن زوجها ينام مع واحدة أخرى.. واحدة زانية!!.. ولكن قبل أن تفكر وتستوعب الأمر عرفت المزيد.. المزيد الذي قد يساعدها على الاستيعاب بشكل أكبر.. فهذه ليست المرة الأولى التي يتزوج فيها زوجها.. فلقد كان متزوجا من قبل.. وزانيا من قبل.. فلقد عاشر الكثير من الزانيات الآسيويات.. وأقام مع البعض منهن لفترات متقطعة..

يا لسخرية الأقدار فهو ليس كاملا فعلا.. بل هو ليس حتى قريبا من أن يكون محترما على الأقل.. كذب عليها كعادته.. أخبرها بأنه لم يعرف أي امرأة قبلها ولم يفكر بأي امرأة قبلها.. وأنه لم يعش أي علاقة عاطفية من قبل مما يجعلها الأولى من كل الاتجاهات.. وتحطم كل شيء.. الأحلام.. الكبرياء.. الكرامة.. السعادة.. والأسرة الصغيرة التي كانت تسرق السعادة من زوايا كل يوم..

تركت المنزل.. تركت المنزل لتستوعب ما العمل.. فرغم كل ما عرفته منه ورأته منه لا تزال غير واثقة تماما من رغبتها في

الطلاق.. فهي ابنة مسؤولة.. أمها مريضة ووالدها مريض.. كيف تعود إلى منزلهما مطلقة.. كيف تعود لأهلها مطلقة.. كيف تعود لعملها مطلقة.. كيف تعود لجامعتها مطلقة؟!.. كانت الكثير من الأسئلة.. والواقع صعب.. صعب على فتاة حالمة مثلها.. فتاة حلم بها الكثيرون.. ولكنها اختارت منهم واحدا.. اختارت الأسوأ..

لطالما كانت الأذكى.. كانت الأذكى في كل فصل تعلّمت فيه.. كانت الأذكى في كل ورشة حضرتها.. كانت الأذكى في مجموعة صديقاتها.. والأذكى في كل بنات عائلتها.. ولكن ذكاءها خانها هذه المرّة.. خانها بشكل قاسٍ.. بشكل قاسٍ جدا.. لأنها كانت غبية.. غبية لشهور طويلة جدا.. غبية لتدرك أن ما من رجل لا يلمس زوجته بالشهور إلا ولأن رغباته الجنسية ملبّاة.. غبية لتدرك بأن ما من رجل يقضي يومه كاملا خارج المنزل إلا ولأن له منزل آخر.. غبية لتدرك ما من رجل يتزوج واحدة إلا وكان قد عرف على الأقل واحدة قبلها.. غبية لتدرك بأن رائحة الفم الكريهه لا نتتج من التهابات اللثة انما من معاقرة الخمرة.. غبية لتدرك بأن سواد الأسنان لا يكون من القهوة بقدر ما يكون من التدخين.. غبية لتدرك أن الرجل لا يختبئ عندما يكلم رجلا.. بل عندما يكلم امرأة..

وانكسرت الصورة.. انكسرت اسطورة الفتاة الجوهرة.. تحطّم إطار الذكاء والجمال والثقة الذي كان يغلّف صورتها.. انهار تاريخ من الحياة الواثقة بأن التعليم والتربية والأخلاق والاجتهاد تصنع

مستقبلا ورديا.. غير صحيح.. فهي متعلمة ولم تستطع صون بيتها لأن ذكاء المرأة يخونها عندما تحب رجلا.. هي متربية أحسن تربية.. ولكن ذلك ليس كافيا فالكثير من الرجال يحبّون الزانيات..

أخلاقها العالية جعلتها تصدق بأنه يتعب ليلا ونهارا من أجلها ولا يعيبه ان يكون عاجزا جنسيا ما دام هو طيب معها يخاف الله فيها.. اجتهادها وتعبها وكفاحها في الحياة للحصول على الستر والحياة الأفضل ليس كافيا للحصول على الحياة الأفضل.. فهناك الكثير من القصص عبر التاريخ.. والتي تصف لنا انتصارات الاتّكاليين والانتهازيين والمنحطّين.. بينما هناك خيبات آمال العاملين والصابرين والمتّقين..

فالحياة في الكثير من الأحيان تُرينا جانبها الأسود.. والذي يُسيّر العالم بالمقلوب.. فيجعل الظالمين أبطالا.. والمظلومين ارهابيين.. فلقد سمعنا عن الكثيرين الذين أسمو أولادهم بقابيل.. وقلّة هم من عرفنا بتسميتهم لأولادهم بهابيل.. هذه هي رؤانا في الحياة..

وبين كل هذا وذاك.. وبعد شهور من الألم والبكاء والعذاب.. عادت له.. عادت لتكون معه من جديد.. فقط لأن لا شيء يؤكد لها ان غيره سيكون أفضل منه.. فهي لمّا تزوجته كان بنظرها وبنظر كل من حولها الأفضل.. فلماذا تتركه وتتزوج غيره لتتذوق مرة أخرى احتمال أن لا يكون الآخر أيضا الأفضل..؟! فما عادت لديها أي ثقة بنفسها أو بالكائنات.. ولأنها اقتنعت بأن ما من حياة هي

أفضل.. بل هناك اختلاف بمفهوم الأفضلية في العلاقات.. وهي لا تريد ان تجرّب مفهوما آخر.. فهي لم تعد قوية ومهتمة كما كانت.. فلقد انكسرت بما فيه الكفاية.. والتجارب الجديدة تحتاج إلى قلبٍ قوي لمواجهة التغيّرات.. وهي لا تستطيع ذلك..

أدرَكت بأن عليها الاستمرار بالحياة كما هي وتقبل نصيبها كما هو فقد ماتت لديها الآمال السعي نحو الأفضل.. تقبّلت الحياة مع الإحساس بألم الخيانة وجرح الكرامة ونظرات الشفقة والإحساس بالذّل والخيبة والهزيمة بعدما كانت الجوهرة المحسودة.. فلا شيء قادر على كسر المرأة بقدرما تستطيع كسرها خيانة زوجها.. وأصبحت تعيش كالظلّ الخجول الذي لا يتعدّى حدود صاحبه.. كالظلّ الذي لا يملك خيار أن ينطلق للحياة وحيدا خوفا من أن يتلاشى.. كالظلّ الذي مهما أشرقت الشمس فهي غير قادرة على أن تطاله.. لأنه مقدّر عليه أن يكون معتما لا تسعه الشمس ما دام هو انعكاس لصاحبه الذي فقد الرغبة في الحياة المشرقة..

وبالتأكيد هناك الكثيرات مثلها والمختبئات خلف جدران بيوتهن.. يجمّلن انفسهن بالضحكات الكاذبة عندما يخالطن الناس.. مدّعياتٍ بأنها الحقيقة.. بينما حقيقتهن ليست إلا وهماً.. وهم يعيش فيه الجميع.. خوفا من حياة الحقيقة..

سموم الفضائيات

ولكن ردُّ الزوجة كان مفاجئاً..

كأيّ شاب في بداية طريقه، كان يحلم ويتمنى بناء مستقبلٍ مشرق، مستقبلٍ تشاركه فيه فتاة أحلامه، فتاة يرى فيها نصف دينه ودنياه، تطيعه وتسره، تخدمه وتسعده، وتشاركه حلو الحياة ومرّها.. وهو يريد أمرأة تقدر معنى الحياة الزوجية، توفر له الأمان والاستقرار النفسي، تنجب له الذرية الصالحة، وتربّي أبناءه على القيم والأخلاق..

كان الرجل صادقاً في أمنيته، مخلصاً في دعائه، فرزقه الله سبحانه وتعالى فتاةً محترمة، هادئة ومطيعة، من عائلة تعرف الله في أعمالها، وتخشاه في أمورها.. وسعد الشاب كثيراً مع تلك الفتاة، وشعر معها بالراحة والطمأنينة، وحمد الله على استجابته لدعائه..

ومضت السنوات، رزق الرجل وزوجته بولدين وبنت، وتكونت لهما أسرة جميلة في ذلك البيت الصغير..

وزادت مسؤوليات ذلك البيت، ولكن ظلت سعادته كما هي بل وأفضل.. زادت مسؤوليات الرجل والتزاماته مع كبر حجم أسرته، فأصبح يقضي في عمله ساعات طويلة، ليوفر لزوجته وأبنائه الحياة اللائقة بهم، بينما زادت مهمات الزوجة في المنزل.. فعليها أن تعد الطعام، وتهيئ سبل الراحة لأفراد عائلتها.. وكانت الأيام بتعاون كل منهما على أحسن ما يرام..

ومع مرور الوقت.. قرّر الزوج شراء صحن دجيتال للمنزل لمشاهدة القنوات الفضائية وكل ما هو جديد في العالم، فمن غير الطبيعي أن يخلو أي منزل من هذا الصحن في هذا الزمن، فعلى الأسرة أن تواكب التقدم الحاصل في المجتمع، وتُجاري مغرياته.. ففرحت الزوجة كثيراً بهذا الخبر، فهي الآن سوف تتمكن من مشاهدت المسلسلات التي تتكلم عنها جاراتها، وستشاهد عروض الأزياء التي تتحدث عنها صديقاتها، بل وستتمكن هي نفسها من الحديث والتعليق على ما ستشاهده في هذه الفضائيات!

في بداية الوضع الجديد مع الفضائيات، قسّمت الزوجة وقتها في المنزل بين العمل وحاجات الأسرة وبين مشاهدة التلفاز، وكان كل شيء طبيعي.. ولكن سرعان ما تبدّل كل شيء بعد أن أصيبت الزوجة بالإدمان.. فأصبحت الزوجة تضطر لترك عملها في المنزل

عندما يبدأ المسلسل المدبلج، وهي لا تستطيع تجهيز الطعام قبل أن ينتهي المسلسل حتى لو كان الجميع على المائدة في الانتظار! كما انها تضطر إلى تأجيل الكنس والغسل إذا بدأ المسلسل، وأحيانا يتعدى هذا التأجيل اليوم أو اليومين.. لأن المسلسل إذا انتهى ابتدى غيره مباشرة.. وهي لا تستطيع تفويت أي واحد منهم، لأنها سوف تحتاج إلى مناقشته لاحقاً مع صديقاتها!! ومع تلك المسلسلات المدبلجة.. بدأ مسلسل المشاكل في المنزل!

لاحظ الزوج إهمال زوجته لترتيب المنزل وتهيئةِ أموره، وإهمالها شأنه وشؤون أولاده، فتضايق كثيراً وشعر بمدى ابتعادها عنه روحياً وجسدياً، فهي لا تجلس معه وقت تواجده في المنزل، ولا تنام معه حتى في المساء.. فالمسلسلات لا تنتهي.. وهي تصرّ على مشاهدتها كلها!! ولم يكن ضيق الزوج فقط بسبب اهمال الزوجة له وللمنزل وللأولاد.. بل لأن الأمر أصبح أخطر من ذلك، فزوجته أصبحت تتأثر وتتخدّر بأحداث أي مسلسل تشاهده، وتظل تفكّر في أحداثه وتفاصيله وتتوقع نتائجه ونهاياته، فهي حتى في الوقت القليل الذي تقضيه مع زوجها وأولادها تتكلم عن المسلسلات وأحداثها!!

فقد كانت تعيش مع تلك المسلسلات بفكرها وخيالها ومشاعرها، مما يجعلها دائمة السرحان والشرود، ومتى ما قطع أحدهم حبل أفكارها، بدأت تتحدث عن تنبؤاتها لأحداث المستقبل التي ستشهده شخصيات تلك المسلسلات!

في البداية حاول الزوج أن يتدارك الأمر، ولكن زوجته كانت قد أصيبت بالإدمان لا محالة، وإرجاعها عن ما أصبحت عليه كان أمراً في غاية الصعوبة.. حاول الزوج كثيرا منعها من المواصلة فيما هي عليه، وأصبح يذكّرها بالجمال الذي كانت عليه، والذي كانت تعكسه على زوجها وأبنائها وأسرتها، وذكّرها كثيرا بواجباتها الزوجية والأسرية التي أصبحت تتناساها، وبالأيام الجميلة التي عاشاها معاً في أمان واستقرار ومودة، ولكن ما كان كل ذلك ليردعها عمّا هي عليه مما جعل الزوج في النهاية، وبعد كل جهوده ومحاولاته الفاشلة، أن يضيق ذرعا منها.. فأعلن لها نفاد صبره، وصوّر لها صعوبة الوضع الذي يعيشه وأبناؤه معها، والذي وصل تعقيده لدرجةٍ تجعله قادرا أو مضطراً لتخييرها بين الحياة معه وأبنائه، أو الحياة مع التلفاز والمسلسلات!

ولكن رد الزوجة كان مفاجئاً، كان مفجعاً وموجعا، مؤلما ومحزنا، مخيباً للآمال ومحطما للأحلام!.. فقد ضحّت الزوجة بحياتها الزوجية وحب زوجها ومستقبل أولادها مفضلة عليهم التلفاز والمسلسلات المدبلجة!! بل وطلبت هي نفسها الإسراع بإجراءات الطلاق..! كي يتسنى لها مشاهدة ما تحب دون مقاطعة أحد، حتى لو كان هذا الأحد زوجها أو أحد أبنائها، ففضّلت ان تعيش مع الشخصيات المصطنعة وفي عالمها الخيالي.. تاركة خلفها أسرة حقيقية.. وعالماً واقعيا سيصدمها كثيرا عندما تصحو من غيبوبتها الفنية..

طعنة القريب

فكيف نتبرّأ من قطعة لحمة مكتملة تدبُّ فيها الحياة والروح لتحيا بعيدة عمّن جلبها للحياة..

شئت سؤالها عن شعورها.. عن علاقتها بأختها.. عن نظرة الناس والأهل لها.. عن نظرتها هي اليوم إلى الحياة ونفسها.. لكنها أبت الحديث عن حاضرها.. واكتفت بالحديث عما جرى معها من وقت بعيد.. فبدأت قائلة:

تخرّجت من الثانوية قبل ثلاث سنوات، خُطبت لشابٍ في مقتبل العمر بعد تخرّجي بأسابيع معدودة، كنا سعيدين جدا في فترة الخطوبة، ولم تمضِ سنة واحدة حتى قمنا بإعداد حفل زفافنا، بعده سكنّا معا في شقة صغيرة.. كانت والدتي وأختي الصغرى التي تبلغ من العمر السادسة عشرة تزوراننني باستمرار في شقتي، وكذلك أهل زوجي، فكنا نقضي معا أوقاتا سعيدة، ولم أكن أعلم حينها بأني سأواجه مصيرا كالذي واجهته.

في أيام العطل المدرسية والصيفية، كانت أختي كثيرا ما تأتي للمبيت معي ومساعدتي في الشقة، فكنا سعيدتين بذلك وبالأوقات التي كانت تمر علينا بسرعة، إذ كان زوجي يعمل حتى وقت متأخر من النهار، وعندما يعود من عمله يأخذ قسطا من الراحة، وما إن يأتي المساء حتى نخرج جميعا للعشاء أو لزيارة الأهل أو لنتمشى.. ثم نعود للشقة في وقت متأخر من الليل.. حتى تغيّرت الأحوال قليلا.

لم نكن نخرج للسهر خارج المنزل.. بل غالبا ما كان زوجي يحضر بعض الأفلام الأجنبية والعربية لنسهر على مشاهدتها.. وكان هو وأختي يقضيان وقتا ممتعا في المشاهدة، بينما كنت أنا أشعر بالضجر من المشاهدة، وغالبا ما كان النعاس يأخذني بسرعة رغم تناولي للشاي الذي كان زوجي او أختي يعدّانه لنا أثناء السهر، فكنت أغطّ في النوم قبل انتهاء الفيلم في أغلب الأوقات.. واستمر الأمر كذلك بضعة شهور، حتى بعد أن انتهت العطلة الصيفية وعادت أختي لمدرستها.. فقد كانت أختي غالبا ما تقضي لياليها عندنا في السهر واللعب، فقد كنا أحيانا نلعب الورق أو الشطرنج في الليل، مما جعلها تهمل دراستها كثيرا.. لكن ما ان اقتربت امتحاناتها حتى أصرّت والدتي على منعها من القدوم إلى شقتنا حتى تتمكن من المذاكرة للامتحانات، خاصة وأن الجو في منزل والدي أهدأ منه عندنا، فليس في المنزل غير والدي وأخي الأصغر، وكلاهما لن يعيقا دراستها طالما لا يربطها بهما ميول أو ممارسات مشتركة كالتلفاز والألعاب التي تربطها بي وبزوجي.

ومع مرور الأيام، لاحظت أمي على أختي تغيّرات لم ألحظها أنا، ولعل السبب في ذلك قلة الخبرة والتجربة، إذ لم يكن وزن أختي طبيعيا! امتلأ جسمها بطريقة ملحوظة، وبدأت بعض الزوائد اللحمية بالظهور بشكل واضح في منطقتي صدرها وبطنها، فنصحت أمي أختي بـــ (الرجيم) فلعل سهراتنا عندنا والجلوس والأكل المستمرين كانا السبب في ذلك.. ولكن المشكلة تطوّرت عندما بدأت بعض أعراض المرض بالظهور على أختي، فكانت كثيرا ما تصاب بالدوار، وانفتحت شهيتها للأكل بشكلٍ رهيب، ومزاجها لم يكن طبيعيا، وكانت تكثر من الذهاب الى الحمام.. ولكننا رغم ذلك لم نستطع أخذها للطبيب لأنها عنيدة وتكره ذلك..

ويوما.. بينما كانت أمي جالسة بقرب أختي في منزل والدي، كانت أختي تأخذ غفوة على الأريكة في الصالة، فوضعت أمي يدها على بطنها الذي كان يبدو منتفخا بشكلٍ غريب، وسرعان ما أبعدت أمي يدها بصرخة أوقظت اختي.. إذ أحسّت أمي بحركة ما داخل بطنها!! أخبرت أمي والدي بما شعرت، وأسرعا بأختي إلى العيادة، ولا أدري ما الذي كان يداهم عقل والدتي وقتها، أكانت تخشى أن مكروها يجري مع اختي؟! هل كانت تشك بوجود ورمٍ ما ببطنها؟؟ أم أنها كانت تشك بأنها حامل؟!! وفي العيادة فحص الطبيب أختي قائلا: لا داعي للقلق.. إنها في شهرها الخامس ولا بأس في أن تبدأ حركة الطفل..!! لم يكن الطبيب يعلم عند قوله ذلك بأن المريع في الأمر أن أختي لم تكن متزوجة!!

عاد والدي مع أختي الى المنزل، وبدأ بضربها ضربا مبرحا لتعترف بفعلتها الشنيعة، واتصلت أمي بي فورا طالبة مجيئي لأنها لم تكن تعرف كيف عليها التصرف مع الوضع، فأسرعت الى منزل والدي دون أن أعرف ما الذي يجري.. ووقع علي الخبر وقع الصاعقة.. أيعقل ان تفعل أختي أمرا كذلك؟! أن تقيم علاقة خارج إطار الزواج!! فلقد تربينا في منزلنا أفضل تربية وتقلّدنا أحسن المبادئ وأعظم القيم.. فكيف يعقل ان تفعل أختي فعلا كذلك!

وبَدأتُ محاولات التخفيف من غضب أبي الذي كان يصرخ ويبكي وهو يُشبع أختي ضربا، فأسرعت واحتضنت أختي التي كانت غارقة في النحيب، وأنا أطلب من والدي التوقف عن ضربها.. ولكنه كان يواصل صراخه وسؤاله: من هو؟ أخبريني بسرعة من هو هذا النذل الحقير لأقتلكما معا! لقد لطّخت سمعتنا ولعبت بشرفنا أيتها الغبية، بينما أنا كنت أحاول تهدئة أختي التي كانت تبكي بجنون قائلة لها: اهدئي يا أختي وأخبري والدي من الذي فعل بك هكذا لعله يصلح الأمر معه! حينها أسرعت أمي وأَبعدَت والدي عن أختي لتترك لي فرصة الحديث معها، فلطالما كنا نحن الاثنتين صديقتين، ولم نخفِ عن بعضنا البعض يوما شيئا، لذا استغربت كيف أخفت أختي عني شيئا كهذا..

حاولت معها.. ولكنها لم تتكلم وواصلت البكاء، فقلت لها: أخبريني يا أختي من الذي لعب بعقلك وقلبك، وأنساكِ المبادئ التي

ربينا عليها، فأنا واثقة بأنه السبب في كل ما حصل، وأنا لا أزال أثق بك! لكن أختي لم تتحدث معي، وطلبت الحديث مع والدتي وكانت غارقة في البكاء، فدخلت عليها أمي وأمسكتها طالبة منها الحديث، بينما تنحّيت أنا جانبا من الغرفة، فتحدثت أختي أخيرا لوالدتي قائلة: إنه زوج أختي يا أمي!.. ولم تترك لنا إجابتها مجالا للتعليق او المناقشة.. فالكلمات عجزت وقتها عن التعبير عن الألم أو الغضب أو الأسف..

لقد كان الاثنان يضعان لي المنوم في الشاي الذي كنا نشربه عند متابعة أفلام السهرة في كل ليلة، وعندما كنت أغط في النوم كانا يمارسان الخطيئة معا في داري، وأنا نائمة مطمئنة بقربهما مني..

أرتكب زوجي معصية كبيرة بمضاجعة أختين، وحطمت أختي قلبي وكرامتي واحساسي بالحياة بخيانتها ثقتي.. ثقتي أنا.. أقرب الناس لها.. وبعد تلك الليلة، طلبت الطلاق فورا قائلة في نفسي: لن انتظر حتى أنجب شقيقا لابن اختي.. إذ كنت في الواقع أنا الأخرى حاملا!!

سُجن زوجي بعدها، وتطلقت منه وهو في السجن، ولم يكن من السهل التفكير في كيفية إصلاح الوضع، فهناك كانت مشاعري التي شاء الجميع مراعاتها، خاصة اني كنت أكن لزوجي الكثير من الود، وثانيا كان الرجل الذي أخطأ في حق أختي ليس إلاّ زوجي!! فكيف يمكن إصلاح الوضع؟! كيف يمكن أن يزوّج والدي ابنته الصغرى

بمن أفسد حياة ابنته الكبرى، وأخيرا.. كيف سيكون مستقبل ذلك الطفل الذي سيبصر النور نتيجة الخطيئة؟! وما هو مستقبل الطفل الآخر الذي سيحمل مثل اسم والد الأول؟!!!

مضى الوقت في التفكير طويلا حتى وضعت أختي الطفل في زحمة التفكير والحزن الذي كان يسيطر على الجميع، والذي حال دون وضع الحل قبل حدوث الميلاد، وسرعان ما طُلِب عقد القران- الذي لم يكن موجودا- لاستخراج شهادة الميلاد، فكان الطفل مجهول الأب فاستلمته دار رعاية الأيتام، فآلم الموضوع عائلتي الصغيرة كثيرا..

بعدها وضعت أنا طفلي الذي حمل اسم طليقي الخائن بسهولة، واشتدّت مرارة الأمر على عائلتي أكثر بعد رؤيتهم للطفل الذي يذكرهم بالآخر، بآخر منا وفينا مرمي في دار للأيتام ونحن موجودون، فكيف نتبرّأ من قطعة لحمة مكتملة تدبُّ فيها الحياة والروح لتحيا بعيدة عمّن جلبها للحياة، لم يُحرم هذا الطفل من والده ووالدته ومن حياة طبيعية محترمة كباقي الأولاد بسبب نذالة رجل وتهوّر امرأة.. لا وألف لا.. هكذا قرّر ابي!!

وبعدما خرج الرجل من السجن، زوجّه أبي لأختي حتى نتمكن من استعادة الطفل ومنحه اسم رجل حقير.. وبعد فترة وجيزة من استعادة الطفل واعطائه اسم والده الحقيقي، طلب والدي الطلاق لأختي فحصلت عليه.. وأصبح الوضع بعد ذلك طبيعيا نوعا ما..

ولا أحد يدرك أو حتى يستطيع ادراك كيف كانت اللحظات تمرّ عليّ لتقتل في داخلي كل احساسٍ فطري بالأمل أو السعادة أو الاحترام..

وعندما كانت الناس تسأل عن كيفية وجود طفلين يحملان اسم نفس الوالد من شقيقتين تعيشان تحت سقف واحد، كنا نختلق الأعذار ونلفّق الأكاذيب فنصغّر عمر إحدهما ونكبّر عمر الآخر، ونلفّق القصص ونحبك الروايات حتى نُظهر طليقي وطليق أختي ووالد طفلينا بصورة الرجل الشهم الذي تزوج الأخت الكبرى وانفصل عنها ليتزوج الأخت الصغرى مضحيا!

فأحيانا نقول بأنه فعل ذلك ليحلّ موقفا انسانيا، وأحيانا لمواجهة أزمة صحية، وأحيانا بسبب مشكلة عاطفية..!!

وبالرغم من أن القصص كانت في الأغلب تفتقر الواقعية والمصداقية.. ألا أن الحياة مع تلك الأكاذيب كانت أرحم علينا من الحياة مع الحقيقة..

وهكذا ظللنا نتستّر على القضية لعلمنا بأن الحياة مستحيلة مع البوح بها..

الأمهات الأربع

لم أحزن في حياتي كلها منذ أن كنت في كنف والدي حتى حياتي بقوامة زوجي كما حزنت في تلك اللحظة..

سعدت العائلة كثيرا بالمولود الجديد، فأخيرا استجاب الله لدعائهم ولصلاتهم، ورزقهم بالولد الأول من بعد ثلاث بنات.. وكانت الأم هي الأكثر سعادة بهذا الولد، فهي تحسب نفسها من أشد المتضررين بسبب الانجاب المتكرر من أجل الولد، فرغبتها ورغبة زوجها في الولد هي التي دفعتها لإنجاب ثلاث بنات!

فكما تقول الأم: عندما حملت للمرة الأولى، كنت مقتنعة تماما بأن يكون طفلي ذاك الأول والأخير، فظروفنا المادية والاجتماعية لا تسمح لنا بإنجاب المزيد من الابناء، فأنا وزوجي مقتنعان تماما بطريقة حياتنا.. بينما يقول الأب: أنا وزوجتي موظفان بسيطان، أعمل وزوجتي يوميا بدوامين، لذا نكون نحن الاثنان معا في المنزل

وقت الظهر وبعد التاسعة مساء، ومردودنا من راتبينا لا يكاد يغطي احتياجاتنا الأساسية، لذلك كنا مقتنعين تماما بأن ننجب طفلا أو اثنين.

وتكمل الأم: أنا أدرك بأن مسؤولياتي بعد الإنجاب ستكون كثيرة، إذ ستكون عليّ مسؤولية رضاعة الطفل، والاهتمام بنظافته وتطعيماته ونومه وملبسه، هذا غير الاهتمام بالشؤون المنزلية، وذلك صعب جدا مع ظروف عملي لدوامين، أما الاستغناء عن الوظيفة فلم يكن واردا بسبب سوء ظروفنا المادية.. لذلك كان من الصعب عليّ جدا إنجاب العديد من الأطفال.. بينما يكمل الأب: زوجتي تتعب كثيرا بسبب دوامها، فهي لا ترتاح حتى في فترة الغداء لأن عليها الغسيل والتنظيف وإعداد العشاء وغيره، لذلك كنت مقتنعا تماما بأن نحقق رغبتنا في الأمومة والأبوة بإنجاب واحد لا أكثر..

كان الزوجان مقتنعين تماما بقضية الطفل الواحد، مراعاةً لظروفهما الحياتية والمادية، حتى جاءت البنت الأولى وجاءت معها الرغبة في الولد.. كان الاحساس مع الابناء يختلف..

تقول الأم: عندما جاءتني ابنتي البكر، ورأيت جمالها ولعبها وبراءتها، بدأت أفكاري كلها تتغير، بدأت أحلم بإنجاب شقيق لها، يصادقها، يحميها، ويكونان معا شقيقين سعيدين يعاونان بعضهما في السراء والضراء..

وتحوّل ذلك الحلم الى حقيقة عندما قرّر الوالدان إنجاب طفلٍ آخر شقيق لبكرهما، ولكن الحلم لم يكن كاملا.. فلقد جاءتهم بنت

ثانية!.. يقول الأب: لم يكن لكونها بنتا أثر على معاملتنا او حبنا لها، فلقد أحببناها وسعدنا باستقبالها رغم انها لم تكن ما تمنيناه، ولكن حلم الولد ظل عالقا في مخيلتنا حتى قرّرنا بقناعةٍ إنجاب الطفل الثالث..

ولكن لم تكن مشيئة الله كما أراد الزوجين، لأنهما رُزقا بنتا ثالثة!!.. تقول الأم: لا أنكر بأني صدمت مع البنت الثالثة، وشعرت بالحزن عندما أخبرتني الممرضة بأني وضعت طفلة، ولكن ما أن جلبتها الممرضة لي، إلاّ ونسيت مع ملامحها البريئة كل ذلك الحزن وسعدت بإنجابها..

كانت العائلة سعيدة جدا مع ثلاث بناتٍ أشبه بالزهور في المنزل، وبالرغم من ذلك الاتساع في حجم العائلة، وبالرغم من كل الظروف المادية والاجتماعية، أصبح الوالدان مقتنعان تماما بأن لا مشكلة في الإنجاب، وان الله مثلما يخلق فهو يرزق ويسهل الأمور، فقرّرا الإنجاب مرة رابعة عسى الله أن يرزقهما بالولد، وكان الله سميعا مجيبا، فجاءهما الرابع ولدا.. يقول الأب: لقد سعدنا سعادة عظيمة بقدوم الولد، فذلك الحلم لم يتحقق إلاّ بعد صبرٍ طويل، وتغيير شبه تام في مبادئنا ومعتقداتنا وأفكارنا الأولية، لذلك سعادتنا به كانت لا توصف..

ومضت الأيام والشهور والسنون والطفل ينمو ويكبر وتنمو معه السعادة ويكبر معه الحلم الجميل بوجوده.. حتى شاءت الأقدار ما شاءت.. تقول الأم: لم أحزن في حياتي كلها منذ ان كنت في كنف

والدي حتى حياتي بقوامة زوجي كما حزنت في تلك اللحظة التي سقط فيها طفلي على الأرض بينما كان يلعب مع أصدقائه..

اكتشفت العائلة بعدما بلغ الطفل الخامسة من عمره بأنه كان يعاني من ضمور في عضلات ساقيه لا علاج له، مما يجعله غير قادر على الوقوف على ساقيه مع ازدياد حجمه ووزنه، وذلك ما أوقعه أرضا عندما كان يركض مع أصدقائه، وذلك ما جعله غير قادرٍ على الوقوف لباقي حياته..

وينهي الأب حديثه: كانت المفاجأة قاسية جدا، فلقد اكتشفنا صدفة دون أدنى توقع او استعداد، بأن ابننا الوحيد معاق، وسيعيش طوال حياته كذلك.. بينما تنهي الأم حديثها: بعد ذلك حمدنا الله بدل المرة آلاف المرات، بل وكنا نحمده على الثلاث البنات اللواتي رزقنا بهن من قبل، فلو كنا رُزقنا بالولد بدونهن لما تمكنا من مواجهة المصيبة، فلو لم تكن البنات معنا قلبا وروحا لضعفنا لوحدنا أمام الواقع..

وكذلك الولد، كان سعيدا لأنه حصل على رعاية أربع أمهات بدل أم واحدة، وحجم العائلة ساعده كثيرا على التأقلم مع وضعه الصحي، فالحب والحنان والرعاية التي وجدها حوله، كانت له سندا كبيرا.. فحنان أخواته ووالديه وأملهم جميعا فيه كان دافعاً له للصراع والصمود أمام عاهته، فعاشت العائلة بقواها وتعاونها وقناعتها سعيدة رغم كل شيء..

المحتويات

شهادة ميلاد	.....	11
صالونات	.....	16
الاختفاء المشبوه	.....	21
كل زوجة اب شريرة..	.....	24
القصر الملعون	.....	27
المسحّر	.....	32
معالجة موقف	.....	36
طلاق الجوارب	.....	40
معلم سياقة.. ولكن..!	.....	43
دكتورة	.....	47
التحدّي	.....	51
سكرات الجنون	.....	57
ظلٌّ لا تسعه الشمس	.....	63
سموم الفضائيات	.....	75

طعنة القريب 79
الأمهات الأربع 86
الطامة الكبرى 90
الآخر 94
اليد المبتورة 100
تركيب المكيّف 104
أطفال آخر زمن 108
بعد 48 ساعة! 114
بوابة الخروج 118
لماذا يا أخي؟! 125
عاقبة العقاب! 138
"قشمرتك" ثقيلة يا دكتور!! 142
كم تُؤلم الذكريات.. 152

السارق 156
من أجل امرأة..! 162
كابوس الدروس 168
الصابونة 173
موضة المثقفين 178
فوضى الحواس 182
الشعور الغريب 189
بيت الأحلام 196
هذا هو الفرق... 202
الكافتيريا 210
اضربيهم يا جدّة..! 213
اللاقط 218
طبيبة المستقبل 224

سيرة ذاتية

- معصومة علي المطاوعة.
- كاتبة بحرينية في مجال الصحافة والرواية والقصة القصيرة والدراما التلفزيونية.
- مدرّسة في وزارة التربية والتعليم البحرينية.
- بكالوريوس رياضيات – جامعة البحرين / البحرين.
- ماجستير تربية – جامعة القديس يوسف / بيروت.
- تحضّر الدكتوراة في إدارة الجودة الشاملة – جامعة القاهرة / مصر.
- صدرت لها رواية بعنوان "وتحطمت القيود".
- صدرت لها ست مجموعات قصصية بعناوين: ويحها من غفلة، لن يعيد التاريخ نفسه، الأصابع المحترقة، الفستان المشؤوم، أنثى في رجل، في ذاكرتي زوجة.
- كتبت مجموعة من السهرات التلفزيونية تحت عنوان "صور من الحياة"، وحلقات درامية بعنوان "أيام السرا".
- كتبت مسلسلات درامية بعناوين: بقايا رماد، الفجر المستحيل، حصاد الخريف، هواجس.
- نُشرت لها العديد من القصص والتحقيقات والمقالات الاجتماعية والسياسية والتربوية في مختلف الجرائد والمجلات.
- عضو في مجموعة من الجمعيات الأهلية.
- البريد الإلكتروني **reporter1977@gmail.com**